نقاط من محاضرة

(معنى زمن الفترة)

تنبيهات:

١- الإشكالات المتولدة للوجود حديثا مما لم يكن لها ذكر وكانت خاملة بين المسلمين ومخالفيهم ولم يعيروها اهتماما، أكثرها لا عناية بها ولا وزن تمثله بين أهل زمان النص، وهي شبهة عرضت على المعاصرين لا حقيقة لها.

٢- ممن أبرز الإشكال على معنى الفترة في قالب النقض جماعة منهم:

- الملحدون بالله وآياته، والأصل فيهم الكفر وغلطوا في نسبة أنفسهم للإلحاد لتضمنه أقرارا بصحة عقيدة من يخالفون.
  وهؤلاء يشكلون على المسلمين ما يعتقدونه من لزوم حكمة الله سبحانه التامة وأنه لا يعبث ولا يهمل خلقه فيضلهم عنه ثم يعذبهم عليه، والفترة يلزم منها انقطاع علامات الهداية والهادين.
- غير الإمامية، فإنهم يدعون أن الآية تدل على انقطاع الرسل زمانا طويلا، فلا يلزم اعتقاد ضرورة وجود إمام وهاد منصوب منه سبحانه على خلقه.
- بعض الإمامية المعاصرين، فإنهم يدعون أن الآية تدل على الانقطاع وغياب المنصوبين من السماء لهداية الأمة، فلا يلزمنا الاعتقاد بوجود إمام حي غائب.

والكلام يقع في نقاط

١-البداية من قراءة الآية في سياقها القرآني

قال سبحانه في سورة المائدة:

يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين - ١٥. يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم - ١٦. لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمة ومن في

الأرض جميعا ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شئ قدير - ١٧. وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير - ١٨. يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير

- أهمية قراءة المعاني في سياقها القرآني في الاستظهار

بدأت السورة:

- بالأمر بالوفاء بما عاهدوا الله عليه: يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود
- بتلاوة الأوامر التي قررت عليهم والتذكير والتحذير بعقوبة من لا يحفظها ويراعيها: يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ... حرمت عليكم الميتة والدم
- ثم الإخبار بإكمال الدين وما عهد به بلاغا لرسوله وللناس: اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا
- ثم الإخبار عن سؤالهم عن بعض المحللات والمحرمات وأحكام الطهارة تعريضا باليهود والنصارى: يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات ... ومن يكفر بالإيمان فقد حبِط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين .... [حتى قوله :] ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون.
- ثم الأمر بتذكر الميثاق والعهد الأول: واذكروا نعمة الله الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به، إذ قلتم سمعنا وأطعنا ...
- ثم يذم بعض بني إسرائيل على عدم الوفاء: ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا [النقب هو الثقب في الشيء، والنقيب المتولي على القوم والباحث في شؤونهم وفي بعض أخبارنا تأويلها بالأئمة الإثني عشر وأنه لم يبعث نبي إلا وله اثني عشر نقيبا وصيا] وقال الله إني معكم لئن إني معكم لئن أقمتم الصلاة ... فمن كفر بعد ذلك منهم فقد ضل سواء السبيل.
- ثم يذكر علة قسوة قلوبهم وجرأتهم علي الدين: فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ... ولا

تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحف المحسنين

- ثم يحكي حال النصارى وما أخذ عليهم: ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا [تناسوا] حظا مما ذكروا به [أمروا به]
- ثم يذكر سبحانه أنه بعث فيهم ذاك النبي المعهود: يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ... يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه
- ثم تأتي هذه الآيات: يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولا يبين لكم على فترة من الرسل

وظاهر الآيات الشريفة أن الفترة كانت سكونا بعد حدة و قلةً بعد كثرة في البيان والعناية والإشراف الرسالي، وانقطاعا للرسل لا الأنبياء وإن صدق عليهم رسل أيضا لغة، وزمان شيوع التحريف في الدين وقطع طرق الهداية من المتلبسين بالدين ومحبي الدنيا، وخيانة الأمة لمن أقامه الله عليم من النقباء المعينين، خلافا لأمر الله وعهده، فلما أسدل الكفر ستاره وكادت معالم الدين أن تندرس أنقذهم الله وكشفه بنور محمد صلى الله عليه وآله.

في الكافي وقريب منه في نهج البلاغة عن علي ع: " الكافي:عن أمير المؤمنين عليه السّلام:«أيها الناس،إنّ الله تعالى أرسل إليكم الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم و أنزل إليه الكتاب بالحق و أنتم أمّيون عن الكتاب و من أنزله،و عن الرسول و من أرسله،على حين فترة من الرسل ،و طول هجعة من الامم،و انبساط من الجهل، و اعتراض من الفتنة،و انتقاض من المبرم،و عمى عن الحق،و اعتساف من الجور، و امتحاق من الدين،و تلظّى من الحروب على حين اصفرار من رياض جنّات الدنيا، و يبس من أغصانها،و انتثار من ورقها،و يأس من ثمرها،و اغورار من مائها.قد درست أعلام الهدى،و ظهرت أعلام الردى،فالدنيا متهجّمة في وجه أهلها، مكفهرّة،مدبرة غير مقبلة،ثمرتها الفتنة،و طعامها الجيفة،و شعارها الخوف،و دثارها السيف،مزّقتم كلّ ممزّق،و قد أعمت عيون أهلها ،وأظلمت عليها

أيامها،قد قطعوا أرحامهم،و سفكوا دماءهم،و دفنوا في التراب الموؤدة بينهم من أولادهم،يجتاز دونهم طيب العيش،و رفاهية خفوض الدنيا،لا يرجون من الله ثوابا،و لا يخافون- و الله-منه عقابا،حيّهم أعمى نجس،و ميّتهم في النار مبلس،فجاءهم بنسخة ما في الصحف الاولى،و تصديق الذي بين يديه،و تفصيل الحلال من ريب الحرام.ذلك القرآن فاستنطقوه و لن ينطق لكم،اخبركم عنه،أنّ فيه علم ما مضى و علم ما يأتي إلى يوم القيامة،و حكم ما بينكم،و بيان ما أصبحتم فيه تختلفون،فلو سألتموني عنه لعلّمتكم".

٢ـمعنى الفترة

اللغة: السكون بعد الحدة، والخفة بعد الشدة.

وفي الاصطلاح: الزمان الواقع بين عيسى ع ونبينا ص

وقد وقعت فترات أخرى بين الأنبياء، كالفترة بين إدريس و نوح عليهما السّلام و بين نوح و هود عليهما السّلام و كانت ثمانمائة سنة و بين صالح وإبراهيم عليهما السّلام و كانت ستّمائة و ثلاثين سنة.

٣ـالمحتملات في معنى الفترة:

وأما في هذا البحث فلها معنيان محتملان:

الأول: بمعنى الانقطاع التام:

ويبطله أمور:

- تكذيب العقل: فإن حكم العقل بحكمة الله وعدله قاعدة عقلية لا تنخرم، وهذا يلزم الموحدين.
- تكذيب النقل: وهي مجموع أدلة من الكتاب والسنة والتاريخ، تبطل دعوى مرادفة الفترة للانقطاع التام وتشير لحكم العقل السابق.

كقوله تعالىً وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فيها نَذير، وقوله تعالى وَ ما كُنَّا مُعَذِّبينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا، وقوله وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليم.

بعض ما روي في نبوة بعض العرب بين عيسى ع ونبينا ص، كخالد بن سنان، وحنظلة بن صفوان.

الثاني: بمعنى فتور الدعوة

ويدل عليه أمور عقلية ونقلية، منها:

- امتناع إرادة المعنى الأول - وهو الانقطاع التام - واستحالة تسويغه في حكمة الله سبحانه، فيتعين الثاني، ولا ملازمة بين النبوة أو الوصاية ومعرفة كل الناس به وظهوره بينهم؛ لإمكان قيامه بما أمر به في غيبته أو في خفاء عن أكثر قومه لمانع من خوف مع عدم عجزه عن القيام بما أمر وهو مستور عنهم.
- ظاهر الكتاب الشريف في سورة المائدة كما بينا
- لإرادة الله في خلقه الامتحان ولتعمد أكثر الناس تحريف الدين والكفر برب العالمين كما هو معلوم من أرباب علماء اليهود والنصارى، وعلى هذا تدل الأخبار الكثيرة.
- شهادة الرواة والنقلة وأهل التواريخ على وجود الأنبياء بين عيسى ع ونبينا ص:

قال ابن بابويه الصدوق في كمال الدين:

" فالرسالة و النبوة سنن و الإمامة فرض و فرائض الله عز و جل الجارية علينا بمحمد لازمة لنا ثابتة لا تنقطع و لا تتغير إلى يوم القيامة مع أنا لا ندفع الأخبار التي رويت أنه كان بين عيسى و محمد ص فترة لم يكن فيها نبي و لا وصي و لا ننكرها و نقول إنها أخبار صحيحة و لكن تأويلها غير ما ذهب إليه مخالفونا من انقطاع الأنبياء و الأئمة و الرسل ع.

و إنما (معنى الفترة) أنه لم يكن بينهما رسول و لا نبي و لا وصي ظاهر مشهور كمن كان قبله و على ذلك دل الكتاب المنزل أن الله جل و عز بعث محمدا ص على حين فَتْرَةٍ مِنَ اَلرُّسُلِ لا من الأنبياء و الأوصياء [أي ظاهرون] و لكن قد كان بينه و بين عيسى ع أنبياء و أئمة مستورون خائفون مِنْهُمْ خَالِدُ بْنُ سِنَانٍ اَلْعَبْسِيُّ نَبِيٌّ لاَ يَدْفَعُهُ دَافِعٌ وَ لاَ يُنْكِرُهُ مُنْكِرٌ لِتَوَاطُئِ اَلْأَخْبَارِ بِذَلِكَ عَنِ اَلْخَاصِّ وَ اَلْعَامِّ وَ شُهْرَتِهِ عِنْدَهُمْ- وَ أَنَّ اِبْنَتَهُ أَدْرَكَتْ رَسُولَ اَللَّهِ ص وَ دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ اَلنَّبِيُّ هَذِهِ اِبْنَةُ نَبِيٍّ ضَيَّعَهُ قَوْمُهُ خَالِدِ بْنِ سِنَانٍ اَلْعَبْسِيِّ .

وَ كَانَ بَيْنَ مَبْعَثِهِ وَ مَبْعَثِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ص خَمْسُونَ سَنَةً و هو خالِد بن سنان بن بعيث بن مريطة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس حدثني بذلك جماعة من أهل الفقه و العلم.
ثم روى بطريق فيه الثقات عن بَشِيرٍ اَلنَّبَّالِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ اَلْبَاقِرِ وَ أَبِي عَبْدِ اَللَّهِ اَلصَّادِقِ ع قَالاَ: جَاءَتْ اِبْنَةُ خَالِدِ بْنِ سِنَانٍ اَلْعَبْسِيِّ إِلَى رَسُولِ اَللَّهِ ص فَقَالَ لَهَا مَرْحَباً يَا اِبْنَةَ أَخِي وَ صَافَحَهَا وَ أَدْنَاهَا وَ بَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ ثُمَّ أَجْلَسَهَا إِلَى جَنْبِهِ ثُمَّ قَالَ هَذِهِ اِبْنَةُ نَبِيٍّ ضَيَّعَهُ قَوْمُهُ خَالِدِ بْنِ سِنَانٍ اَلْعَبْسِيِّ. و كان اسمها محياة ابنة خالد بن سنان.

الحاصل

فاتضح:

- أن زمان الفترة الذي أريد في الآية الشريفة هو الزمان بين بعثة عيسى ع وبعثة نبينا محمد ص
- وهي بمعنى عدم وجدان الناس لرسول كعيسى وموسى ولا نبي ظاهر حاكم مبسوط اليد والأمر، لا بمعنى عدم وجوده وتكليفه من قبل الله سبحانه بمهام النبوة والوصاية، أو نيابة أنبياء أقل منه في المنزلة والدعوة.
- ليست الفترة بمعنى انقطاع الرسل ولا ارتفاع ما يحتج به الله على الناس من حكم عقل قطعي فطري أو غياب تام لشرعته سبحانه.

وإنما بعنى انقطاع الرسل الكبار، ووصاية النقباء والأنبياء الحافظين للشرائع المرسلين قبلهم، كشرعة موسى لنبي إسرائيل ومن بلغهم رسالته وما جاء به عيسى عليه السلام من إيضاح لها وهدى وضياء ومن بلغهم رسالته، وكشرعة إبراهيم ع لباقي الأمم، يبلغها الأوصياء والنقباء ما وسعهم، تماما كحال زمان الأوصياء الأئمة عليهم السلام. وبمعنى اضمحلال ظهور الأنبياء في أقوامهم ومعارضة أهل الكفر والتحريف لدعوتهم والسعي في قتلهم، حتى صار الناس بعد تدينهم كفارا فجارا أو بدينهم تجارا؛ يكتسبون به دنياهم ويبيعون به أخراهم، وفي الخبر أنهم كانوا يقيمون الكهنة محلهم !، عن الصادق ع في الحديث: إنّ الكهانة كانت في الجاهليّة في كلّ حين فترة من الرسل،

كان الكاهن بمنزلة الحاكم، يحتكمون إليه فيما يشتبه عليهم من الامور بينهم. الحديث.

- وهذا المعنى يلزم منه الإقرار بأن زمان الفترات يكثر فيه الجهل وغياب الحقائق لعدم قدرة أكثر الناس على بلوغ الحق بكماله، فيكثر فيه المستضعفون -في دينهم والمعذورون عن إطاعة ربهم فيما أمرهم به- لجهلهم.
- أن هذا الزمان هو من أزمنة الفترات الصعبة التي لا ينجو منها ناج إلا إذا صفت نيته وخلص قصده في طلب الحق واستسلم لأمر ربه وسلم لأمر نبيه وآله صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

في الكافي بسنده عن عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع فَقُلْتُ لَهُ أَنْتَ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ فَقَالَ لَا فَقُلْتُ فَوَلَدُكَ فَقَالَ لَا فَقُلْتُ فَوَلَدُ وَلَدِكَ هُوَ قَالَ لَا فَقُلْتُ فَوَلَدُ وَلَدِ وَلَدِكَ فَقَالَ لَا قُلْتُ مَنْ هُوَ قَالَ الَّذِي يَمْلَأُهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَ جَوْراً عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ كَمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص بُعِثَ عَلىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ.

والحمد لله رب العالمين

محمد علي العريبي
ألقيت الجمعة ليلة السبت ٢٠١٩/١٢/١٣م